العولمة والتحديات اللغوية.
بأية لغة ندرس؟

د .حبيب مونسي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الجيلالي ليابس. سيدي بلعباس.

تمهيد:

ليس أمام الباحث في شأن التربويات، حين يواجه مسألة تتصل أساسا بالهوية من ناحية وبالطابع القومي من ناحية ثانية إلا التريث في إصدار الأحكام، وتقليب الأمور من وجهاتها المختلفة قبل البت في شأن المسألة التي يعالج. ذلك أن من المسائل المتصلة بالهوية والقومية ما يجعل البحث فيها ذي سبل متشعبة، تنفتح عادة على خيارات تتجاوز التراث إلى الخيار النفعي الذي يفرض عليه فرضا. وكأن القضية حين تقاس من حيث القيمة إنما تعرض أولا على مدى نفعيتها قبل التأكد من صحتها. وكأننا إزاء موقف براغماتي محض يفرض علينا أن ننظر أولا إلى المنفعة قبل النظر على الصحة، ويكون الحكم الذي نستصدره في اتجاه القيمة ناشئ من تقديرنا للمنفعة في علاجها للأزمات المعروضة قبل الصحة التي قد لا تعالج شيئا البتة.

ومن ثمة فإننا لا نزعم أبدا أن مثل هذا الفكر سليم من حيث المبدأ، بل إن السلامة التي يتوخاها إنما تأتي من النفع الحاصل أثناء الإجراء وحسب. وكأننا نرجئ إلى حين مسائل الصحة والاستقامة إلى أن تصير الأمور إلى نصابها. حينها فقط يجوز لنا أن نلتفت إلى القيمة في تعاليها المطلق.

هذه المعضلة نذوق مرارتها حين نفتح ملف اللغة الوطنية في خضم ملفات مفتوحة من قبل العولمة، وانفتاح السوق، وا لهيمنة التكنولوجية الغربية. فيكون السؤال الذي يطرحه المربي على نفسه ، وهو يعاين الواقع المعطى بين يديه، ويحصي عدد التحديات التي عرضتها العولمة عليه، ويلتفت إلى ميراثه الذي مزج بتركيبات تختلط فيها الأصالة بالمعاصرة إلى جانب الإرث الاستعماري الثقيل: كيف السبيل إلى المحافظة على العربية؟ وما هي سبل تطويرها؟. بيد أن مثل هذه الأسئلة في بساطتها وسذاجتها في أن تهمل السؤال الجوهري الذي يفترض أن يبدأ به التشخيص أولا. ذلك أننا حين نعاين ظاهرة محددة إنما يتوجب علينا أن نسأل عن موقعها من الظواهر المماثلة أول، وما مدى هيمنتها أو صمودها أمام التماس الذي يحدث بينها. وحين يتم

التشخيص الحسن، وتكشف العلل والأدواء، وتحدد الإمكانات الهاجعة في قلب الظاهرة، حينها فقط يمكننا أن نلتفت إلى الكيفيات التي يمكن استحداثها للمحافظة على الظاهرة وصيانتها.

1-مشكلة المنهج:

إن من أهم المناهج التي تخصصت في هذا النوع من المعالجة العملية للظواهر -سواء أكانت ظواهر بشرية أو طبيعية- منهج يتسمى بالسيبرنطيقية "cybernitic" وقد تحدّدت "السيبرنطيقا" "Cybernétique" على أنّها:« المجال الكامل لنظرية التحكّم والاتصال في الآلة، وفي الحيوان على السواء، وأنّ كلمة التحكم تعني الضبط أو تكاد» (1) وقد فُهمت سيبرنطيقا " نوربرت فينر "N.WIENER" على أنّها تصح في أعضاء الآلات، وكذلك في سلوك الكائنات الحيّة والبشرية، فتصبح الاستدلالات السيبرنطيقية- عندئذ- نوعا من الاستدلالات التي تسمى في الرياضيات والفيزياء تعميما(2) ومعناها الحرفي: سحب الملاحظات الميكانيكية التي تشاهد في الآلة وسيرها على السلوك الإنساني وتوجيهه. فإذا استطاع الإنسان ضبط الآلة وتحديد تصرفاتها وحصر مجالاتها، فإنّه يستطيع صنع ذلك مع الإنسان ولغته.

ويعود مفهوم "السيبرنطيقا" إلى "أفلاطون" الذي عرّف لفظ "KUBERNETES" بالربّان وبالدّفة، واستعمله لمعنى: فن قيادة الرّجال. وأضحى المصطلح عند "أمبير" "AMPERE" فنّ سير وقيادة الأنظمة ذات التّعقيد الكبير(3).

إن الذي يستفاد من السيبرنطيقية في مجال اللغة ، هو قدرة هذه الأخيرة على التشخيص والدراسة القائمة على المنفعة والتوجيه. فليس المراد عندها الحديث عن الهوية والقومية والدين بقدر ما تلتفت أساسا إلى المشكلة في تقاطع إحداثيات الزمان والمكان، أي الواقع كما يعاش فعليا لا كما يتخيل نظريا. ومن ثم أقامت السيبرنيطيقية منهج الفحص على الخطوات التالية:

1- تحديد الغاية: فإذا سألنا أنفسنا ما الغاية من فتح ملف اللغة في هذا الظرف المحدد؟ هل مرادنا هو إدخال تغيير معين في المحيط؟ وهل اللغة كما نعيشها اليوم كتابة وتدريسا قادرة على إحداث التغير المنشود؟ إذن فالغاية التي يجب أن يحددها الدرس أولا هي ما

1- JUDITH. LAZAR. La science de la communication.ed. DAHLEB.1993.Alger.-p:23.
2 Ibid.p:23.
3 Ibd.p:23.

مدى فاعلية اللغة التي يمتلكها للتأثير بها في الواقع، تغييرا وتوجيها وقيادة. إذ لا يكفي القرار السياسي والتربوي إذا لم يكن للغة من وجود فعلي قائم في أرض الواقع.

إن تحديد الغاية، وتعيين، وتسطير الخطوات، عمليات نفعية في أساسها الأول لا يمكن لها أن تفكر في الجانب الغائي، لأنها تواجه تحديا وعليها أن تتولى إزالة العقبات من طريقها للوصول إلى غايتها. فما كان في البحوث القديمة أوليا جوهريا يتحول إلى ثانوي عرضي، وذلك إلى حين يستتب الأمر وتعود الأمور إلى نصابها المثالي.

2-**الإعداد**: إنه التحضير الذي ينتهي إلى إيجاد برنامج عملي لإحداث التحول المنشود. غير أن عملية الإعداد تكتسب خطورتها من حيث كونها العملية التي تقوم على المعطيات الدقيقة السليمة التي تستبعد من حسبانها كل ما يشوش حساباتها من آراء وتوجهات سياسية وغيرها. ذلك لأن العمليات التي تقوم على معطيات التحضير سكون سليمة إذا كانت مقدماتها سليمة دقيقة، أما إذاغ كانت المعطيات غير دقيقة، أو كانت عرضة لتشوهات قيمية فإن العمليات كلها ستبوء بالفشل الذريع. إن أمثلة ذلك كثيرة في الواقع العربي، وفي شتى مجالات المواجهة، سواء أكانت اقتصادية أو اجتماعية أو عسكرية أو تربوية. لأنها قامت على تقارير مثالية أملتها نزعات سياسية بعيدة كل البعد عن الواقع المعيش.

3- **العـــزم**: إنه العنصر الأساس في عمليات الإنجاز. وليس العزم إلا رديف الغاية، ووجهها العملي الذي يجسده التحضير الجيد للمشروع. إننا حين نستعرض مسألة اللغة في خضم العولمة، ونحد غايتنا من خلال التأثير في الواقع قصد تغييره، فإننا لن نصل إلى شيء ذي بال من دون العزم لأن كل ما سبق إنما هو مجرد تمثل نظري ومادي للمشروع مفتقرا إلى إنجاز. والعزم هو الحركة البانية التي تتجه صوب الإنشاء النهائي للغاية.

بعضهم لا يفرق بين العزم والتنفيذ في الخطة السيبرنطيقية، والبعض الآخر يريد أن يكون للتنفيذ عنصره الخاص الذي يلي العزم، ويجعله حركة قائمة على العمل والمبادرة. وليس يضر هذا الفهم أو ذاك إذا قررنا أن التنفيذ هو الضلع الثالث لمثلث المنهج السيبرنيطيقي.

2-اللغة والعولمة:

إذا جئنا نطبق المنهج الذي عددنا خطواته من قبل، وركزنا على الجانب النفعي فيه قصد الاستفادة من الوضعيات الثقافية والعلمية والتكنولوجية الرائجة في رحاب العالم اليوم، كان علينا أن نتساءل أولا عن بعض المفاهيم التي تؤطر القضية في شموليتها. ذلك أن العولمة اليوم هي الواقع الذي يفرض نفسه على الإنسان- أي إنسان، في أي بقعة على الأرض- حتى الإنسان الغربي الذي أفرز العولمة فإنه واقع تحت نيرها. غير أن هذا العملاق المهيمن الطاغي ذي

الأوجه المتعدد ، والأذرع الممتدة في كل اتجاه يحول الكرة الأرضية إلى دحية صغيرة يستطيع تقليبها بين أنامله كيفما شاء.. نسائله هل فيه شيء يتصل باللغة وماذا يقصد بالعولمة اللغوية ، أو هل هناك عولمة لغوية؟ فإذا نظرنا إلى مدلول العولمة الذي يعني جعل ما هو محلي عالمياً ، أو الانتقال من المحلية الإقليمية إلى العالمية» فهل هناك لغة انتقلت من المحلية إلى العالمية ، فتجاوزت نطاقاً جغرافياً محصورة ببلد أو بلدان ، لتصبح لغة عالمية يتحدث بها العالم كله على اختلاف لغاته الأصلية ؟ لا شك أن الجواب الواضح هو الإيجاب ، ولا شك كذلك أن تلك اللغة الوحيدة التي يصدق عليها ذلك الوصف هي اللغة الإنجليزية.» (1) .

إن الإقرار بهذه الحقيقة الواقعية التي فرضتها معطيات التاريخ والحضارة، تجعلنا نعاين الوضع من زاوية لا نخفي فيها عن أنفسنا حجم المسألة التي نود أن نعالجها حين نطرح على أنفسنا السؤال التالي: بأية لغة ندرس أبناءنا إذا أردنا اللحاق بالركب الحضاري الغربي؟ هل يجوز لنا التخلي عن لغتنا واعتناق لغة التكنولوجيا والتقدم العلمي، حتى لا تفق اللغة حاجزا بيننا وبين منابع المعرفة في منابتها الأصلية؟

وعندما نسجل هذا السؤال المحرج حقا ، نلتفت إلى الأقوام التي تعاني مثلنا ثقل الظاهرة اللغوية ، والتي لها حظ من التقدم التقني، كيف تسلك إزاء هذا الموقف.. صحيح أن كثيرا من الأمم:» تشعر بهذا الخطر الداهم الذي يمثله تغلغل وانتشار اللغة الإنجليزية، لا سيما تلك الدول التي تعتز بحضارتها ، وتنظر بريبة لانتشار الثقافة الأمريكية، ولم تستسلم بسهولة للهيمنة الأمريكية على معظم جوانب الحياة ، في معظم البلدان ، فهذه فرنسا مثلاً وهي صديق لدود لأمريكا، يدعو رئيسها جاك شيراك إلى إقامة « تحالف» بين الدول التي تعتمد لغات من أصل لاتيني للتصدي بشكل أفضل لهيمنة اللغة الإنجليزية ، وذلك لدى افتتاحه منتدى حول موضوع تحديات العولمة »(2).

وليس من قبيل الترف اللغوي أن يتصدى رئيس فرنسا إلى العولمة اللغوية ليقيم في وجهها جدارا لغويا لاتينيا للحد من انتشار اللغة الإنجليزية التي تعصف في أشرعتها رياح الأسواق التجارية والمنجزات العلمية الأكثر رواجا في الأسواق. فالتطور الذي تعرفه الإنجليزية ليس متأتيا من كونها لغة راقية كاملة بل يأتيها من كونها لغة التجارة والأسواق والمال. فاللغة اليوم تقاس

1 - هيثم بن جواد الحداد. ملفات العولمة.. العولمة مقاومة وتفاعل. مجلة البيان. العدد: 170. ص:59. شوال 1422 .يناير2002.

2 - هيثم بن جواد الحداد. ملفات العولمة.. العولمة مقاومة وتفاعل. مجلة البيان. العدد: 170. ص:59. شوال 1422 .يناير2002

بالعملة ذات الثقل الملحوظ، وكل لغة تفقد ثقلها التجاري تتحول إلى عملة زائفة، سريعا ما تنحط قيمتها ويتدهور رواجها.

إن الباحثين اليوم يقابلون بين الاقتصاد اللغة مقابلة حية قائمة على مبدأ المنفعة الذي تحدثنا عنه من قبل. ف "فلوريان كوماس" في كتابه "اللغة الاقتصاد" يطرح التشاكل على النحو التالي ناقلا عن "جورج هامان" "G.Hamman" قوله:« النقود واللغة يتسم البحث فيهما بدرجة من العمق والتجريد توازي عمومية استعمالهما، وهما مرتبطان أحدهما بالآخر بشكل أقوى مما يتصور، ونظرية أحدهما تفسر نظرية الآخر. ويبدو أنهما يقومان على أسس مشتركة.» (1) وحين يدعو الرئيس الفرنسي إلى قيام تحالف لغوي لاتيني، لا يقصد فقد الجانب اللساني وحده وإنما يقصد تحالفا يحرك عجلته الاقتصادية عاملا المال واللغة معا. وحيثما دار المال دارت اللغة معه تطورا وتقدما. إنها عين النظرة التي وجدناها من قبل عنه ابن خلدون حين ربط بين البلاغة والعمران قائلا بأن البلاغة تتطور في أمم يتأنقون في عمرانهم. وكأن العلاقة غير منفصمة بين هذه الثنائيات. فإذا كان همنا هو الحفاظ على لغتنا فإنه يتوجب علينا أن نخلق لها رواجا اقتصاديا يعضدها، ورواجا علميا يدعمها.

قال الرئيس الفرنسي لدى افتتاحه منتدى في جامعة السوربون جمع بين الناطقين بالفرنسية والإسبانية والبرتغالية إنه: « في مواجهة قوة نظام مهيمن يحق للآخرين حشد لقوى لإرساء المساواة في الفرص وسماع أصواتهم». ودعا شيراك الناطقين بالإيطالية من الاتحاد اللاتيني إلى الانضمام إلى منظمة الفرنكفونية ومجموعة الدول الناطقة بالبرتغالية والمنظمتين الناطقتين بالإسبانية للدول لأمريكية الأيبيرية والقمة الأيبيرية الأمريكية. أضاف أنه: « من خلال منظماتنا الخمس تصبح هناك 79 دولة وحكومة من كل القارات تمثل 1.2 مليار رجل وامرأة يريدون الإبقاء على لغاتهم ». ودعا شيراك إلى القيام بتحرك في الأمم المتحدة بالاتفاق بين المنظمات الخمس لإقامة « مشاريع مشتركة»

ودافع شيراك عن مبدأ « تعددية اللغات في المجتمع الدولي » ودعا شركاءه إلى« الاستثمار بقوة في شبكات المعلوماتية » مقترحاً إنشاء موقع للثقافات اللاتينية على الإنترنت . وأعرب أخيراً عن أمله في أن تعترف منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) سمياً بـ « حق

1 -فلوريان كولماس. اللغة والاقتصاد .ترجمة أحمد عوض. مراجعة: عبد السلام رضوان. ص:11 .عالم المعرفة. الكويت. نوفمبر 2000.

التعددية الثقافية » من خلال إصدار « إعلان عالمي يكون بمثابة ميثاق تأسيسي » [1].

غننا نملك المليار والنصف عربي، إن القاعدة العددية التي يتحدث عنها شيراك قائمة في العالم العربي قبل العالم الإسلامي، واللسان موحد في لغة واحدة يدعمها الدين والقومية، والثروات كائنة بالكميات التي تكفل لنا اليمنة والتأثير. إن الذي ينقصنا في هذه المعادلة – على النحو الذي بيناه في المنهج الذي ارتضينا- هو العزم والتنفيذ. وحين نلتفت إلى مبادرة الرئيس الفرنسي "جاك شيراك" فإننا نلتفت إلى العزم مجسدا في التنفيذ التي تأتي من أعلى درجات الهرم لتحرك دولاب الاقتصاد واللغة معا في غلاف قومي أو إثني أو لغوي.

3-اللغة الثانية:

إن من مظاهر العولمة اللغوية الإنجليزية أنها أصبحت اللغة الثانية في أغلب بلاد العالم لا سيما العربية بدرجة أولى، ثم البلاد الإسلامية بدرجة ثانية ، يتلوها بذلك اللغة لفرنسية (2). وبعيداً كذلك عن الإحصاءات الدقيقة التي تقف خلف هذه الحقيقة؛ فإن نظرة سريعة مناهج التعليم في العالم العربي ثم الإسلامي تجد مصداق ذلك؛ حيث ينقسم العالم الإسلامي إلى معسكرين: أحدهما - وهو الأغلب- يدرس الإنجليزية لغة ثانية لأبنائه، كما هو الحال في دول الخليج ومصر، والسودان، والباكستان، وبعض دول جنوب شرق آسيا، وأما الثاني فيدرس اللغة الفرنسية، كدول المغرب العربي، وبلاد الشام.

لقد لوحظ أن اللغة الثانية سريعا ما تكسح اللغة الوطنية إذا كانت مدعومة بالسوق والمنتوج الرائج الموجه إلى الاستهلاك. ذلك أننا حين نعاين السوق ونعدد المنتوجات الوافدة التي تتقاطر من كل حدب وصوب نأسف لواقع اللغة المحلية، ونشعر بالخوف عليها من الزحف الطاغي

---

1 - أخبار قناة الجزيرة على الشبكة يوم الثلاثاء ، 1421/12/25هـ الموافق 2001/3/20م، وجاء في الخبر ، أن الاحتفال بيوم الفرنكفونية الدولي في القارات الخمس (55 دولة) بدا اليوم الثلاثاء ، وهو نفس يوم انطلاق حركة الفرنكوفونية العالمية قبل 31 عاماً ، وجاءت الدعوة تلبية لنداء المنظمة الدولية للفرنكوفونية التي يترأسها الأمين العام السابق للأمم المتحدة بطرس غالي، وتضم 55 دولة من الناطقة كلياً أو جزئياً بالفرنسية وتمثل نحو 500 مليون نسمة عبر العالم ، وتم إنشاء الوكالة الحكومية للفرنكوفونية في 1970/3/20م في نيامي عاصمة النيجر، بمبادرة من ثلاثة رؤساء دول أفارقة هم الرئيس السنغالي ليوبولد سيدار سينغور ، والرئيس التونسي الحبيب بورقيبة ، ورئيس النيجر ديوري ، وكانت هذه الوكالة تدعى لدى انطلاقها ، (وكالة التعاون الثقافي والتقني) وضمت 21 دولة عملت على إرساء قواعد لمجموعة فرنكوفونية «قادرة على إسماع صوتها في إطار الحوار العالمي » ، وتعتبر الوكالة الفرنكوفونية المحرك الأساسي للمنظمة الدولية للفرنكوفونية ، وهي تعد برامج مساعدة وتدريب في القطاعات اللغوية والثقافية والقضائية وفي مجال الإنترنت

2 - انظر ، مثلاً الإحصاء الوارد في موقع http : // www / krysstal / om/english / html

الذي لا يمكن أن يقاوم أو يرد. فالمأكول والملبوس والمركوب كلها أدوات تجمل اللغة الوافدة في شاياها من خلال التسمية والاستعمال، ولا يفلح في درء هذا الزحف التذرع بالترجمة واختلاق المصطلحات لأن الآلة اللغوية لا تساير الوتيرة الاستهلاكية أبد ولا تجاريها في سرعتها وتحولاتها.

لقد اختارت بعض الأقطار العربية مبدأ المزاوجة بين اللغتين، وإدخال اللغة الوافدة مدخل الخيار الواعي، ورأى آخرون أنها غنيمة حرب يجب استغلالها على نحو خاص. بيد أن هذا الطرح وذاك يخلق في صلب المسألة فجوات لا يمكن سدها بهذه الادعاءات السمجة. بل« وقد يبدو من الوهلة الأولى أن الازدواجية اللغوية هي تدعيم للثقافة وإثراء لها؛ وهذا من الناحية الصورية صحيح، ولكن من الوجهة الواقعية نرى أن الاختلال الحاصل على نطاق عريض يجعل من هذه الازدواجية المزعومة أداة هدم لا بناء؛ ولا سيما في حالة عدم حصول توازن من حيث الإجادة والاتقان للُغة الأم؛ ففي هذه الحالة تُحدث الازدواجية صراعاً خطيراً قد يؤدي إلى الانفصام الثقافي أو الانسلاخ الثقافي مثلما هو حاصل في بعض الأقطار المغاربية كالجزائر على الخصوص»(1).

يكشف مصطفى حسين أحد المربين العرب(2) - في بحث له عن مدارس اللغات الأجنبية وواقعها في العالم العربي، وخصوصا التجربة الخليجية- عن جملة من المزالق التي أحثها تواجد المدرستين الوطنية والأجنبية جنبا إلى جنب. سواء أكانت من انشاء العرب أنفسهم أم من إنشاء غيرهم:

أولا : وضع اللغة العربية : للغتنا الأم، وضعٌ مقلق مزعج إلى أبعد الحدود؛ والدليل واضح ماثل لكل ذي بصرٍ وبصيرة؛ فطلابنا يعانون ضعفاً مزرياً في لغتهم الأم، وقد بدت الشكوى متزايدة من هذا الضعف، فخريجو الجامعات ضعاف في اللغة العربية، لا فرق في ذلك بين خريجي أقسام اللغة العربية ومعاهدها، وبين غيرهم، والأغلاط اللغوية في الكتب والصحف متفشية. وهذا الضعف ليس في أساسيات اللغة العربية ومهاراتها فقط بل يمتد إلى معارفها وثقافاتها المتصلة بها. فكيف نضيف إلى ضعفنا في لغتنا الأم ضعفاً في سائر اللغات؟

ثانيا : نشير هنا إلى رأي فريق من علماء التربية لا يستهان به : فالبعض يؤكد أن ثمة ظاهرةً تسمى ظاهرة: (الاعتماد أو التوافق المتبادل Interdependence) بين اللغة الأم اللغة الأجنبية ،

---

1 - خميس بن عاشور. الازدواجية اللغوية والمرض الثقافي. مجلة البيان. ع:158. ص:114. شوال 1421. يناير 2001.

2 - انظر مصطفى حسين. أطفالنا ومدارس اللغات الأجنبية. مجلة البيان. ع:122. ص:18. شوال 1418. فبراير 1998. الكويت.

مما يؤثر في إتقانهما معا: فالطفل الذي يتلقى دروساً في لغة ثانية (أجنبية) قبل أن يتقن لغته الأولى لن يتقدم في هذه أو تلك (1) .

ثالثا: يقسّم بعض علماء التربية الثنائية اللغوية إلى نوعين:(الثنائية اللغوية الطارحة، والثنائية اللغوية الجامعة) فالأولى هي تلك التي تسود بين أطفال يتهدد لغتهم الأم خطر الاندثار، وأما الثانية فهي تلك التي تسود بين أطفال تتمتع لغتهم الأم بقدرٍ كبيرٍ من الرسوخ والتفوق. والسؤال : إلى أي النوعين تنتمي الثنائية اللغوية في ظل ما يسمّى بمدارس اللغات ؟ نضيف إلى ما تقدّم حقيقة تربوية لا يختلف عليها التربويون برغم اختلافهم حول قضية (الثنائية اللغوية)، وهي: (أنه كلما ازداد أساس اللغة الأم رسوخاً، واستمرت في تطورها ازدادت القدرة على اللغة الثانية) (2)

رابعا: يتشبث المتحمسون لمدارس اللغات بمنطق مغلوط معكوس: فالمعلوم من واقع التاريخ الإنساني أن المجتمع لا يحافظ على بقائه في عالم مفتّح متواصل، بالحفاظ على هوية الآخرين والذوبان المطلق فيهم، ولكن بحفاظه على هويته أولاً، وتحصين ذاته ضدّ عوامل الفناء والاندثار؛ فإن صنع الإنسان العكس ، فقد غالط طبيعة الأشياء، ورضي لنفسه أن يكون التابع الذليل. وإذا راجت بيننا اليوم مقولة أن (لا مكان في عالم اليوم لمن لا يتسلح باللغات)، فإن الأصحّ من هذه المقولة أنه (لا مكان لمن يدخل بيوت الآخرين ، بعد أن نسف بيته، وآتى على بنيانه من القواعد) .

خامسا: نؤكد ونحن مضطرون للتكرار أننا لا نرفض مبدأ تعلم اللغات، ولكن شريطة أن يكون هذا المبدأ مؤسساً على أهداف وثيقة الصلة بوجودنا وكياننا وأصالتنا، ومرتبطاً بخطة مدروسة لا تتجاهل واقع مدارس اللغات، وحصاد هذه التجربة بعد اتساعها واستفحالها على أن نخضع ذلك كله لدراسة علمية فاحصة ، تسبر الواقع ونتائجه دون تجاهل أو عصب

سادسا: ليس من اللازم اللازب لكي نحقق مبدأ التواصل مع عالمنا وعصرنا أن نترك الحبل على غاربه لمدارس اللغات، وأن يُرهق أبناؤنا وبيوتنا مادياً ونفسيا؛ إذ يكفي أن ندعّم مقررات اللغات الأجنبية (اللغة الثانية) في المرحلة المتوسطة(الإعدادية)، وأن نعمل على تطويرها، مع الملاحقة والمتابعة لمقررات اللغة العربية، بالتطوير والدعم المستمر وتدريب المختصين بها: معلمين

---

1 - انظر: الطفل العربي واللغات الأجنبية (سلسلة عالم العربية ، الرياض 1993م) ، تأليف د نادية احمد طوبا ، ص 39 ، 83 ، دار النشر الدولي بالرياض.

2 - م.س.ص: 39 ، 83.

وموجهين، وإخضاع الكتب المقررة للدراسة الدائمة في ضوء مرئيات التلاميذ والمعلمين وأولياء الأمور وسائر من ينبغي الاستئناس بآرائهم من الخبراء وأساتذة التربية .

سابعا: إن قضية (ثنائية التعليم) منذ المراحل الأولى للتعليم (رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية) قضية ما تزال مثارة، والخلاف حولها ما يزال قائماً ، فلماذا نتصرف على أنها قضية محسومة؟ ولماذا هذا التدافع المحموم نحو اللغات ومدارس اللغات.

ثامنا: إن نجاح الأمم يقاس بمبدأ : (التوازن الثقافي) الذي تحققه لنفسها ، ويقدر هذا التوازن بين كيانها وأصالتها من جانب وثقافات الآخرين من جانب آخر تكون قوتها وقدرتها على العطاء الإنساني الذي يكسبها الاحترام والوجود المتميز. بقيت حقيقة أخرى نختم بها مقالنا وهي تتعلق بما يسمى دولة (إسرائيل) واللغة العبرية؛ فقد استطاع اليهود أن يجعلوا لغتهم الأم، (وهي العبرية) اللغةَ الدارجة السيّارة: في المدرسة والجامعة، والحقل والمزرعة، والمتجر والمصنع، والشارع العام؛ وهي لغة العلم والتعليم والإعلام والسياسة. وقد عاش اليهود على آماد طويلة من الأحقاب يعملون بكل سبيل على أن تظل لغتهم حية تحتكّ بكل لغات العالم، لكي تبقى وتعيش لا لتفنى وتندثر. وفي كل بلد عاش فيه اليهود، كانوا يتحدثون بلغتهم، ويشاركون بأقلامهم في الإبداع الأدبي والعلمي بلغة هذا البلد، ولكنهم داخل (الجيتو) الذي حرصوا على أن يصنعوه لأنفسهم ، كانوا يتحدثون العبرية ويلقنونها أبناءهم. فهل نتكبر نحن للعربية، ونذوب عشقاً هياماً في الآخرين؟ إن العربية أعرق وأصل من العبرية ومن غير العبرية، وأيادي العربية على العبرية وغيرها من اللغات يؤكدها التاريخ. والناشئةُ من أبنائنا أحوج في هذا العصر، وأكثر من أي عصر مضى، إلى أن يرتبطوا بلغتهم حباً وولاءً. والعربيةُ بعدُ ارتبطت بكتاب سماوي خالد، وارتبط بها ذلك الكتاب السماوي .